المنظور السوسيولوجيّ لأزمة الشباب

شلال حميد سليمان(*)

المقدمة

الشباب هم الجزء الأكثر حيوية، وفاعلية في النسيج الاجتماعيّ للمجتمع، يتأثرون بما يدور فيه من أحداث اجتماعيّة، واقتصاديّة، وسياسيّة، وما يطرأ عليه من تغيرات في مختلف جوانب الحياة، وتتأثر تبعاً لذلك أدوارهم الاجتماعيّة.

وإنّ السرعة الفائقة للأحداث التي وقعت في المجتمع وما صاحبها من تغيّر اجتماعيّ يجعل القدرة على التحليل الدقيق أمراً صعباً. وبالنسبة لي ومنذ فترة تمتد إلى أكثر من ثلاث سنوات، وأنا أتابع الأحداث واراقب التغيرات التي مرّ بها المجتمع وأسعى لتقصي أثارها على هذه الشريحة الحيوية الفاعلة. لذلك أجد أنّ أيّ حكم عام لتفسير أثر التغيّر تفسيراً صحيحاً في عقد من العقود. قد يتغيّر في العقد الثاني، ثمّ يصبح لاغياً في العقد الذي يليه.

فقد كانت ملامح الحياة الاجتماعية، وعملية توزيع الأدوار الاجتماعية خلال عقد السبعينات تبدو مختلفة إلى حد ما عما كان سائداً في الستينات، وأصبح الاختلاف واضحاً في عقد الثمانينات، لظهور متغيّر هام وأساس وهو الحرب وما صاحبها من تحولات في ملامح الحياة الاجتماعية. أما الأمر فقد أصبح مختلفاً تماماً

(*) مدرس مساعد قسم علم الاجتماع كلية الآداب / جامعة الموصل

في عقد التسعينات من جراء حرب عدوانية ثانيـة، ومـا رافقـها مـن حصـار جـائر، والذي لازال مستمراً، وما نجم عنه من تضخم اقتصاديّ هزا البناء الاجتماعيّ هزاً شديداً تمخض عنـه أثاراً اجتماعيّـة كبـيرة، والشـباب هـم أكثر الفئـات الاجتماعيّـة تحملاً لأثار الحصار، ولتبعات الحروب، وتأثراً بنتائجها.

ويهدف هذا البحث إلى تحديد أثر هذه الظـروف والأوضـاع علـى الشـباب، فضلا عن تحديد الخطوات التي ينبغي اتباعها للتقليل من أثـار هـذه الأوضـاع علـى المجتمع بصورة عامة، والشباب بصورة خاصة.

أولا:- مشكلة البحث

يشكل الشباب جزءا هاما في تركيب أي مجتمع بشري، فهم الطاقـة الحيويـة الدافعة، والفاعلة التي تشكل الأساس لكل تحديد في النسيج الاجتماعي. فمـا نغرسـه اليوم في نفوسهم من مثل وقيم وأفكار ومبادئ خلقية، سنجني ثماره في الغد القريب.

وليس بخاف على أحد الظروف والأوضاع التـي مـر بـها المجتمـع العراقـي خلال العقدين الأخيرين، ومالها من أثار اجتماعية انعكست علـى الشـرائح والفئـات الاجتماعية كافة في المجتمع بشكل عـام، والشـباب بشـكل خـاص؛ لأن الشـباب هـم أكثر الفئات الاجتماعية تحملا لآثار الأزمات، ولتبعات الحروب وتأثرا بنتائجها[1].

(١) تقرير اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، عن اوضاع الشباب وحاجاته فـي منطقـة غربـي آسـيا، مقدم لندوة الشـباب والمشـكلات المعـاصرة فـي المجتمـع العربـي الخليجـي، بغـداد، تشـرين الثـاني ١٩٨٥، ص١٣.

ومن الأسباب الرئيسة التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع للبحث هو ما نلاحظه من أساليب تكيف تتسم بعدم الاستقرار، وضعف التوازن لدى هذه الفئة العمريّة.

ففي مثل هذه الظروف غير الطبيعية، يكون النظام الاجتماعي أقل كفاءة لأن يقدّم إشباعا حقيقياً للحاجات الأساسية للشباب، وسيكون ذلك باعثاً على خلق نوع من القلق والخوف والتوتر الناجم عن صعوبة تحقيق الشباب لأهدافهم المشروعة في الزمن المناسب، ممّا يدعوهم لإعادة النظر بخططهم وأهدافهم الحياتية.

فضلاً عن أن تلك الظروف قيّدت طموحهم، وحدّت من تطلعاتهم، وأصبحت آفاق المستقبل لديهم اكثر ضيقاً، فبدأ يتضاءل أملهم في الحصول على أدوار ومراكز اجتماعية، مثل تلك التي حصل عليها شباب العقود السابقة، ممّا يرفع من درجة توترهم، ويثير لديهم ردود فعل ذات طابع انفعالي قد يؤدي بهم إلى مزالق واشكالات اجتماعية مختلفة.

ونحاول من خلال البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما العلاقة بين الأوضاع والظروف الاجتماعية والاقتصادية التي يمرّ بها المجتمع وأزمة الشباب؟
- وما العلاقة بين الأبعاد الأساسية للشخصية الشابة ومكونات الأطر المرجعيّة للواقع الاجتماعيّ المُعاش؟
- وما هي الخطوات التي ينبغي اتباعها لتقليل آثار هذه الظروف على الشباب والمجتمع على حدّ سواء؟

ثانياً: أهمية البحث والحاجة إليه

تكمن أهمية هذا البحث في تناوله فئة الشباب، وهي اكثر الفئات الاجتماعيّة فاعليّة، فهم نصف الحاضر وكل المستقبل، وعليهم يتوقف مصير البلد ومستقبله. فضلاً عن أنّ مرحلة الشباب مرحلة انتقالية بين الطفولة والرشد فهي مرحلة الإعداد للحياة وللمسؤولية[٢]. وبحكم هذه الخصائص فان تقدّم البلد ورقيه يعتمد على طريقة تدريب الشباب، وإعدادهم للحياة. فإذا احسن تدريبهم وتوجيهم فهم عنصر استقرار وبناء، أو هم ريح عاتية تهدم كلّ ما يواجهها في حالة إهمالهم.

وترجع أهمية هذا البحث أيضا إلى انه محاولة لدراسة أوضاع الشباب بصورة مباشرة من منظور تكامليّ من اجل الكشف عن العلاقة بين مكونات الأطر المرجعيّة للواقع الاجتماعيّ ودرجة انعكاسها على البناء النفسيّ والاجتماعيّ للشباب فضلاً عن أنه محاولة جادة لتحديد طبيعة هذه الأزمة والكشف عن مسبباتها بوصفها خطوة ضرورية من أجل صياغة استراتيجية لمواجهتها والتقليل من آثارها.

ثالثاً:- المفاهيم الأساسية للبحث

المفاهيم التي تضمّها هذا البحث هي: أزمة، الشباب.

---

(٢) إسماعيل، محمد عمادالدين، مشكلات الشباب الاجتماعية في الدول العربية الخليجية والاوضاع المتغيرة. بحث مقدم لندوة الشباب والمشكلات المعاصرة في المجتمع العربي الخليجي، بغداد، تشرين الثاني ١٩٨٥، ص١٢.

١. مفهوم الأزمة.

تُعرف الأزمة بأنها عبارة عن وجود عائق أمام الطريقة المرغوبة والمقبولة للوصول إلى الأهداف الاجتماعية[٣].

والأزمة هي عملية توقف الحوادث المنتظمة والمتوقعة واضطراب العادات والعرف مما يستلزم التغير السريعة لإعادة التوازن، ولتكوين عادات أكثر ملائمة[٤].

والمأزم هو الموقف الذي يجد الإنسان نفسه فيه من دون حلّ المطلوب، ويثير هذا الموقف صراعات وجدانيّة ونفسيّة تؤدي إلى عدم استقرار الشخصية، واضطرابها. وأزمة الشباب التي نحن بصدد دراستها لا تعني الكارثة بالضرورة، بل تعني ان الشباب يمرّ بظروف وأوضاع غير طبيعية تحول بينهم وبين إشباع حاجاتهم وتحقيق رغباتها، ليصبحوا في موقف يبعث على القلق والتوتر قد يؤدي بهم إلى مزالق واشكالات اجتماعيّة.

٢. مفهوم الشباب

تتباين الآراء حول مفهوم الشباب، فالبعض يعتقد بأنه لا يرتبط بفئة عمرية فحسب، بل يرتبط بأسس جسمية، ونفسية، وعقلية، واجتماعية، ويتفق الديمغرافيون على أن الشباب فئة عمرية تمتد ما بين ١٥-٢٤ سنة[٥]، كما يرى معظم علماء النفس وعلماء النفس الاجتماعي أن بداية مرحلة الشباب ونهايتها

(٣) فرج، محمد سعيد، ماهية علم الاجتماع، دار المعارف للنشر، القاهرة، ١٩٨٧، ص٢٩٢.

(٤) النوره جي، احمد خورشيد، مفاهيم في الفلسفة والاجتماع، دار الشؤن الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ط١، ص٢٥.

(٥) ليلة، علي، واخرون، الشباب القطري اهتماماته وقضاياة، مطابع جامعة قطر، الدوحة، ١٩٩١، ص١٢.

ترتبط بمدى اكتمال البناء الدافعيّ، فإذا ولد الفرد كتكوين بايولوجي، فانه كذات يكتمل بناؤه إذا استوعب مجموعة التوجيهات القيمية الكائنة في السياق الاجتماعيّ. فإذا استطاع أن يوائم بين التوجهات القيمية من جهة وإشباع حاجاته واهتماماته من جهة أخرى، بحيث تشير هذه الموائمة إلى امتلاك الشخص لبناء دافعيّ متكامل يمكنه من التفاعل السويّ في المجال الاجتماعيّ[٦] وعلماء الاجتماع يرون أنه فضلاً عن التحديد العمريّ فانّ فترة الشباب تبدأ حينما يحاول البناء الاجتماعيّ تأهيل الشخص من أجل احتلال مكانة اجتماعيّة، ويؤدي دوراً في ذلك البناء، وتنتهي حينما يتمكن الشخص من احتلال مكانته وأداء دوره في السياق الاجتماعيّ، وفقاً لمعايير اللعبة الاجتماعيّة[٧]. وحدد الاتحاد العام لشباب العراق الفئة العمريّة للشباب من ١٩-٣٠ سنة[٨] ونحن نتفق من خلال بحثنا هذا مع تحديد الاتحاد العام لشباب العراق لمفهوم الشباب من خلال تلك الفئة العمريّة.

رابعاً:- الإطار العام للأزمة

يمكننا الانطلاق في تشخيص هذه الأزمة المعقدة من خلال تحليلها إلى أبعادها الأساسية الآتية:

١. البعد البايولوجيّ

٢. البعد الاجتماعيّ

٣. البعد النفسيّ

---

(6) Aries, Phillip, Centuries of Childhood, Irans By R. Boldick, New York. vintoge. 1968, P. 57.

(7) Flack. youth and social change, markham publishing company. chicoye. 1971. P. 32.

(٨) شكارة، عادل عبدالحسين، الاتحاد الوطني لشباب العراق وتنشئة الشباب، مطبعة الاتحاد، ١٩٨٠، ص١٢

٤. البعد الثقافيّ

ولابدّ من تقديم بعض الأفكار الاوليّة التي تساعدنا على تشكيل قاعدة للتحليل السوسيولوجيّ، والذي من شأنه كشف الجذور العميقة لهذه الأزمة.

١- البعد البايولوجيّ

يعد الجانب البايولوجي هو العنصر الأول في بناء الشخصيّة الإنسانية، ويحتوي هذا العنصر على أكثر أبعاد الشخصية أهمية، وهو بعد الحاجات التي تتطلب إشباعاً حيث تخلق هذه الحاجات لدى الشخصية ميلاً إلى خارج بنائها العضويّ، والى التفاعل مع الآخرين تأميناً للإشباع، ويتميّز العنصر البايولوجيّ في كونه بسيطاً ذا إمكانيات محدودة في مرحلة الطفولة والشيخوخة، أمّا في مرحلة الشباب فالبناء الفرعيّ الداخليّ يشهد تغيرات أساسية ذات طبيعة كمية وكيفية[٩] فتحدث تحولات واسعة وعميقة وسريعة في ملامح جسم الشباب، ويصاحب ذلك تغيرات كثيرة في عاداته ورغباته، وفي ميوله وتطلعاته، وعلى سبيل المثال لا الحصر تنمو المعدة وتزداد سعتها، ممّا يترتب على ذلك زيادة شهيته للطعام ورغبته في أنواع معينة من الأطباق دون غيرها. وممّا يزيد الأمر تعقيداً أننا في بلد محاصر ليس بالأمر السهل توفير هذه الأطباق التي يرغب فيها، ممّا يضطر الشاب إلى تناول ما هو متوفر من الأكل بعض النظر عن رغبته وحاجاته الجسمية. ويصاحب عملية النضج الجسميّ مرحلة اكتمال نموه الجنسيّ، حيث تبدأ في هذه المرحلة الغدد الجنسيّة في القيام بوظائفها، لتؤدي إلى وضوح الهوية الجنسيّة لكلّ شاب، وهذا بدوره يرسي الأسس والقواعد الثابتة للمواقف

---

(٩) ليلة، علي واخرون. مصدر سابق، ص١٣.

والممارسات الجنسية في المستقبل. لكن الشباب يختلفون إلى حد كبير في قدراتهم ودوافعهم الجنسية، ويختلفون في شدة وجموح الطاقة الغريزية، ويختلفون في فاعليتهم ونشاطهم العاطفي، وفي الأساليب والطرائق التي يتبعونها لإشباع حاجاتهم الجنسية[١٠]. فالإشباع المباشر من خلال الزواج تحول دونه صعاب جمة، مما يحتم على الشباب إيجاد مجال لإشباع هذا الدافع حيث يصطدم بما يفرضه المجتمع من قيود على إشباع هذا الدافع، ومما يزيد الوضع تأزما زيادة الفجوة. بين ما يريده الشباب وما يسمح به المجتمع، وزيادة الضغوط التي يتعرض لها الشباب في هذا المجال، ستزيد من قلقه وتوتره، فضلا عن زيادة الأعباء والصعوبات التي يواجهها الشباب في الحياة مما يؤدي به إلى الانسحاب أو اتخاذ أنماط سلوكية غير مقبولة اجتماعيا[١١].

٢ـ البعد الاجتماعي

يعتبر البعد الاجتماعي المكون الثاني في بناء الشخصية الشابة، ويشير هذا البعد إلى البيئة الاجتماعية المحيطة بالإنسان، والتي يتيسر له إشباع حاجاته الأساسية في نطاقها. بل إننا نجد هذه البيئة الاجتماعية تزود الشخص عادة ببعض الحاجات الاجتماعية التي عليه أن يعمل لإشباعها إلى جانب حاجاته البايولوجية، ويتم تشكل البعد الاجتماعي من خلال عملية التنشئة الاجتماعية ويعني اكتمال البعد الاجتماعي في بناء الشخصية، هو إنجاز عملية الإعداد الاجتماعي للشاب

(١٠) العظماوي، ابراهيم كاظم، معالم من سايكولوجية الطفولة والفتوة والشباب دار الشؤون الثقافية العامة. ط١، بغداد ١٩٨٨، ص٤٢٥-٤٢٦.

(١١) حسن، محمود شمال، قلق المستقبل لدى الشباب المتخرجين من الجامعة، مجلة المستقبل العربي. العدد ١١، لسنة ١٩٩٩ ص٧١.

لممارسة أدوار البالغين[١٢]. وعملية الإعداد الاجتماعيّ للأجيال الشابة في المجتمع تتأثر بشكل مباشر بالمرحلة التاريخيّة والحضاريّة التي يمرّ بها، وبالظروف والأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة التي يعاني منها، وبطبيعة مستوى حركة التغيّر الاجتماعيّ فيها.

والمتتبع لمسيرة التطور الاجتماعيّ للمجتمع العراقيّ خلال العقود الأربعة الأخيرة يلاحظ حجم التغيرات الاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والسياسية الكبيرة، والتي يترتب عليها تحولات جذرية في مجال تقسيم العمل، وتوزيع الأدوار الاجتماعيّة، وتحديد القيم والمعايير السائدة في المجتمع، ممّا انعكس على عملية الإعداد الاجتماعيّ للأجيال الأربعة الأخيرة فتباين ظروف مرحلة التنشوء والإعداد ستؤدي إلى تباين التوجيهات الاجتماعيّة والقيمية لكل جيل من الأجيال والذي يؤثر بدوره على عملية تشكل طموحات وتطلعات كلّ جيل. ومن هنا تتبلور خصوصيّة كلّ جيل من الأجيال. فلكلّ جيل من الأجيال الأربعة تطلعاته وطموحاته وهمومه ومشاغله التي تختلف من جيل لآخر.

فجيل الستينات جيل مكافح نشأ في ظلّ ظروف وأوضاع اجتماعيّة واقتصاديّة وسياسيّة صعبة فهو جيل ما قبل الثورة والثروة. أما جيل السبعينات فقد عاش في مرحلة انتعاش اقتصاديّ واجتماعيّ من خلال زيادة الدخل القوميّ، وتوفر فرص العمل، ونمو دخل الفرد، وزيادة الحراك الاجتماعيّ، ممّا أدّى إلى تنامي تطلعات الشباب، فهم جيل طامح للعب أدوار اجتماعيّة كبيرة، وطامع في تكوين ثروة، وتحقيق رفاه اجتماعيّ، ممّا ادّى إلى ترسيخ نزعة فكريّة وسلوكيّة خاصة بهم، أمّا جيل الثمانينات فهو جيل التطلعات والأماني المؤجلة بسبب

(١٢) ليلة، علي، واخرون، مصدر سابق. ص١٣.

الحرب، فكان شعار المرحلة كلّ شيء من اجل النصر. وبعد أن وضعت الحرب أوزارها عاد الشباب وكله أمل وطموح بتحقيق رغباته، وإشباع حاجاته. لكن هذه المرحلة لم تستمر لفترة طويلة فبعد عامين فقط وقعت أحداث سياسيّة واقتصاديّة متسارعة فرضتها على بلدنا وشعبنا الإمبريالية، ومن ورائها الصهيونيّة العالميّة. فنشأ جيل التسعينات في ظلّ تغيّرات اقتصاديّة واجتماعيّة فائقة السرعة منها التضخم الاقتصاديّ الجامح. لقد جاءت هذه التغيّرات بأوضاع اجتماعيّة واقتصاديّة غير مسبوقة، ممّا جعل عملية التكيف معها أمر في غاية الصعوبة، وبعد أن فقدت الخبرة الاجتماعيّة الماضية جزءاً كبيراً من قيمتها وفعاليتها، اصبح كثير من وسائط التطبيع الاجتماعيّ وأدواته في غير اتساق مع الظروف التي يمرّ بها المجتمع. ممّا أدّى أيضا إلى ضعف تكيف المؤسسات الاجتماعيّة مع هذه التحولات، لشدّتها وسرعتها، فانعكس على أدائها لدورها ووظائفها بفاعلية. ممّا ادّى إلى أن تفقد الأطر المرجعيّة التي تعمل على بلورة الفعل وأنماط التفاعل المنسجمة مع حركة التغير الكثير من هيبتها في نظر الشباب خاصة. ممّا ساهم في عملية تهميش اجتماعيّ لهم، ممّا دفع بجزء منهم إلى البحث عن حلول سحرية أو سلوكيات غير مرغوبة كالمغامرة التي أصبحت شائعة، وتلقى قبولا لديهم.

٣- البعد النفسيّ

يعدّ البعد النفسيّ العنصر الثالث في بناء الشخصية الشابة، وهو يضمّ مجموعة الخبرات التي يكونها الشخص نتيجة للتفاعل مع العالم الخارجيّ إلى جانب اتجاهاته نحو هذا العالم. وتتكون هذه الخبرات كنتيجة لأنماط التكيف مع مختلف المواقف الاجتماعيّة. وذلك يعني أنّ البعد النفسيّ يشكل جانب منه خلال

التفاعل بين العنصر البايولوجي والعنصر الاجتماعي، ومن ثم يختلف من شخص إلى آخر نتيجة لطبيعة تكوينه البايولوجي من جهة، وبالنظر إلى طبيعة السياق الاجتماعي الذي يشكل إطار تأهيله اجتماعيا من جهة أخرى.

ان الحياة في مرحلة الشباب، غنية وزاخرة بالنشاط والحيوية النفسية، والعاطفية والتفاعل الاجتماعي، وهذا يتطلب مناخا مناسبا لتنمو مواهبه وقدراته، مما يساهم بدوره في اكتمال النضج النفسي والاستقرار العاطفي للشباب(١٣).

ومن أهم السمات الأساسية لعملية النضج النفسي عند الشباب الإحساس الداخلي بوحدة الذات في صورة الشخصية المستقلة المتميزة، إذ يشعر الشاب باستقلاليته وتميزه عن الآخرين، على الرغم مما تربطه بهم من علائق وروابط وثيقة ومتبادلة، كما يدرك الشاب حالة الانسجام في عناصر شخصيته وذاته، وتتضح له بعض الحاجات والدوافع والأهداف في سلوكه اليومي، وأحاسيسه، واستجاباته الداخلية(١٤).

وفي حالة عدم إشباع بعض هذه الدوافع والحاجات سيتعرض اتزانه النفسي للتمزق والانشطار. ان توفير البيئة الاجتماعية المناسبة والمناخ النفسي الملائم ليساهم بشكل فعال في صقل الصفات والمزايا الفردية المكونة للبناء النفسي، والحسي، والعاطفي، والفكري للشباب مما يؤدي إلى تفجير طاقاتهم، واستثمار قدراتهم وإمكانياتهم، لما يجعلهم قوة متدفقة فاعلة، خيرة، في البناء الاجتماعي تساهم في دعم عجلة التقدم والتطور الحضاري للمجتمع إلى الأمام.

(١٣) العظماوي، ابراهيم كاظم، مصدر سابق، ، ص٤٢٢.

(١٤) العظماوي، ابراهيم كاظم، المصدر السابق، ص٤٢٣.

٤ـ البعد الثقافي

يمثل البعد الثقافي العنصر الرابع في بناء الشخصية الشابة، ويضم مجموعة التوجهات القيمية التي توجه سلوك الإنسان في مختلف المجالات الاجتماعية، وتلعب وكالات التنشئة الاجتماعية دورا فاعلا في ترسيخ هذا البعد الذي بدوره يضبط حركة الفرد في السياق الاجتماعي(١٥).

اصبح الشباب اليوم يخضعون في تربيتهم وإعدادهم وتنشئتهم لمؤثرات متعددة ومؤسسات متنوعة، توجهها مبادئ، وقيم، وأساليب، وأهداف، وغايات مختلفة ومتناقضة في بعض الأحيان. والمجتمع المعاصر يتميّز بتعقد مكوناته الثقافية، وتنوع وظائفه التخصصيّة التي تحتاج باستمرار إلى المزيد من التدريب، والتعليم المستمر لمواكبة كلّ جديد بفضل ظاهرة التفجير المعرفيّ، وثورة المعلومات التي وفرتها وسائل الاتصال الحديثة(١٦).

لقد بدأت تزداد المشكلة بالنسبة لمجتمعنا الذي يتعرض لتغيرات سريعة تكاد تغطي جوانب الحياة كافة، حيث جعلت معظم أفراده يعاني، وعلى مختلف أعمارهم من آثار هذه التغيرات على شكل صراعات اجتماعيّة وقيميّة، ويبدو أن هذه الوضعيّة ليست مقصورة على مجتمعنا العراقيّ أو المجتمع العربيّ، بل شملت حتى المجتمعات الغربية المتقدمة، حيث يشير (تالكوت بارسونز) إلى أنه من الطبيعيّ في مجتمع متغير تغيراً سريعاً، وبه حراك اجتماعيّ كبير في مكانة الفرد، لا يستطيع جيل الكبار تزويد الشباب بالتوجيه المباشر، وبنماذج للدور الذي يمكن

(١٥) ليلة، علي، واخرون، مصدر سابق، ص١٤.

(١٦) قظام، محمود، الصراع القيمي لدى الشباب العربي، مجلة الوحدة تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، العدد ٣٩، كانون الاول ١٩٨٧، ص٥٦.

أن يقدّم تعريفاً متقناً للوضعية، بل على الشباب أن يتلمس طريقه بنفسه، لان ليس لذويه من الكبار دراية بذلك، ليتمكنوا من إرشاده[١٧]. ولعلّ التطور الكبير الذي حدث في تكنولوجيا الاتصال في السنوات الأخيرة زاد من عملية التداخل الاجتماعيّ بين أجزاء العالم، وسهل عملية الاتصال والتفاعل، ممّا احدث هزة كبيرة في المجال القيميّ للمجتمعات النامية بشكل خاص. ممّا اثّر بطريقة أو بأخرى على شبابنا بحيث نجد من بينهم من يعيش في الماضي بكل ما فيه، وبعضهم الآخر يتنكر لهذا الماضي ويحاول تبني كل ما هو جديد، وقسم يحاول الجمع بينهما[١٨]. ويرى الباحث أن الشباب بصورة عامة لا زال يبحث عن هويته الذاتية، ويبحث عن دور ومركز له في عالم يسير بسرعة فائقة، حيث يشعر بأنه يراوح في مكانه، لانه فاقد لآلية التعامل مع حركة العصر. فلم تعد معطيات الثقافة الشرقيّة التقليديّة ملائمة له للاندماج فيها وكذلك الثقافة الغربية التي تستهويه لا يستطيع تمثلها، نظراً لوجود معرقلات وعوائق اجتماعيّة فضلاً عن تأثير الحصار الجائر إذ أفقده الكثير من آليات الاندماج، فقيّد حركته الاجتماعيّة والجغرافيّة، وحدّ من فاعليته، واضعف نشاطه، وحال بينه وبين تحقيق العديد من آماله وطموحاته. وهنا شعر الشباب بأنه متأرجح على عارضة التوازن الاجتماعيّ. فعدم إمكانية تحقيق ذاته من خلال الانسجام مع روح العصر، والتوافق مع الحركة الاجتماعيّة في العالم المعاصر يؤدي إلى وقوع قسم كبير من شبابنا في دائرة

(17) Parsons,Talcott, social structure and personaliry New York. The Free Press. 1964, P. 179.

(١٨) قظام، محمود، مصدر سابق. ص٥٨.

التهميش، وسيعاني جراء ذلك من صراع نفسي، وعدم استقرار عاطفي، وتذبذب في سلوكه بين المغامرة والمباهاة والمسالمة والعنف وغيره من سلوك متناقض[١٩].

خامسا: سوسيولوجيا الأزمة

لكل بعد من الأبعاد الأساسية الأربعة للشخصية الشابة عملية نمو ارتقائية، يتوقف نموها على مدى إشباع الحاجات التي يتكون منها كل بعد. ويعتمد ذلك على البيئة الاجتماعية ومدى خصوبتها وقدرتها على أن توفر إشباعا مناسبا لحاجات الشباب. فإذا لم تشبع هذه الحاجات، أو تتم إعادة تدريب الفرد على أساليب مناسبة للتكيف مع الظروف الجديدة، يصبح لدينا موقف يبعث على القلق والتوتر مما يؤدي إلى عدم استقرار وتوازن الشخصية الشابة واضطرابها.

فالظروف والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والحضارية التي يمر بها المجتمع، والتحولات فائقة السرعة، والتغيرات العميقة التي حدثت، وما نجم عنها من آثار اجتماعية واقتصادية كالتضخم الاقتصادي الذي قلل من فرص العمل المتاحة أمام الشباب، وحد من فاعلية الحراك الاجتماعي، واحدث خللا واضح في التراتبية الاجتماعية، مما انعكس على أداء المؤسسات الاجتماعية لادوارها ووظائفها بفاعلية، الأمر الذي اضعف عملية الإعداد والتطبيع الاجتماعي، وجعلها في غير اتساق مع الظروف التي يمر بها المجتمع، فضلا عن ضعف قدرة المؤسسات على توفير فرصا مناسبة لإشباع الحاجات البايولوجية والاجتماعية والنفسية والثقافية للشباب في مواجهة مطالب حياة متجددة تضعه في أزمة.

---

(١٩) جلال، سعد، المرجع في علم النفس، مكتبة المعارف الحديث، الاسكندرية ١٩٨٥، ص٣٨٦.

لقد تباينت ردود أفعال الشباب حيال هذه الأزمة بين الشباب المتعلم وغير المتعلم. فالشباب الذي لم يحصل على قسط وافر من التعليم لا يملك الأدوات المناسبة للتعبير عن نفسه فضلا عن ضعف قدرته التكيفية، مما يدفع به الى اساليب انحرافية مباشرة للتعبير عن ذاته وإشباع حاجاته[٢٠].

أما الشباب المتعلم فوجد انه لا سبيل لمسايرة هذه الظروف إلا بالتخلي عن كثير مما تعلموه، وأنفقوا في سبيل اكتسابه فترة إعداد طويلة من حياتهم فيضطر الشباب مثلا إلى قبول مهنة ذات مكانة واطئة بدلا من مهنة ذات مكانة عالية كان يطمح إليها على الرغم من أن هذه المهنة لا تلبي حاجاته، ولا ترضي طموحاته، ولا تمنحه الاستقرار، وتحرمه من فرصة تحقيق الذات لتشكل مصدر اعتزازه مما يزيد من توتره وقلقه فضلا عن زيادة الأعباء والصعوبات التي تواجه الشباب في عملية بدأ الحياة المستقلة، ومحاولة الاستقلال الاقتصادي، والزواج، وتكوين أسرة، وما يترتب على ذلك من بروز بعض الأنماط السلوكية غير المقبولة اجتماعيا.

كلما استمر هذا الوضع كلما ساهم في عملية التهميش الاجتماعي للشباب، مما يدفع بهم إلى المزيد من البحث عن الحلول السحرية، والسلوكيات المنحرفة كالمغامرة التي أصبحت من الطرق المألوفة للتكيف مع الوضع.

ولكي يتمكن المجتمع من تخفيف حدة الأزمة التي يعاني منها الشباب، وتجنبهم الوقوع في مهاوي الانحراف، وتجنب المجتمع ما يترتب على ذلك من مشكلات اجتماعية. ينبغي الاهتمام بتوفير الفرص المناسبة لإشباع حاجات

(٢٠) حجازي، مصطفى، شباب الظل وفود العنف، حول مسألة الشباب المهمش مجلة الوحدة تصدر من المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، العدد ٣٩ لسنة ١٩٨٧، ص١٢.

الشباب، وان يتاح لهم فرصة المشاركة الفعالة في الحياة اليومية، والعمل على إشراكهم في تحديد أدوارهم الاجتماعية، ومعالجة أوضاعهم بأسلوب فيه نوع من التسامح والاعتراف بهم كفئة لها دورها وأهميتها في تحقيق مستقبل افضل للبلد. والأسلوب الأمثل لمعالجة مشكلات الشباب وأوضاعهم بصورة عامة هو وضع خطة تنموية اجتماعية واقتصادية حتى ولو كانت بإمكانيات متواضعة لمعالجة الموقف بصورة شمولية، والابتعاد قدر الإمكان عن معالجة مشكلاتهم بطريقة مجتزأة، لأن ذلك يعد عملية ترقيع قد تساهم في خلق مشكلات مضافة بدلا من تخفيف حدة الظروف التي يعيشونها.